

ورقة بحثية مختصرة حول مراحل التطور الليتورجي

لزمان التهيئة لعيد الميلاد في الكنيسة القبطية^(١)

لقد ظلَّ عيد الإيفانيا في السادس من يناير/ الثالث عشر من شهر طوبه، وهو تذكُّر معمودية الربِّ في مياه الأردن، واستعلانه للبشر، والذي فيه ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع النَّاس^(٢)، أي حاوياً فيه ميلاد الربِّ وعماده معاً، هو العيد الأقدم في الكنيسة الجامعة، بعد عيد الفصح.

أمَّا عيد ميلاد السيد المسيح، كعيد مستقل قائم بذاته، فقد عُرف في الغرب أولاً، في أوائل القرن الرابع الميلادي، وهو ما انتقل إلى الشرق المسيحي في أواخر هذا القرن عينه، في مناطق القسطنطينية وآسيا الصغرى وأنطاكية. وأمَّا في مصر، فلم يُعرف عيد الميلاد كعيد مستقل عن عيد الإيفانيا، قبل القرن الخامس الميلادي. وأول إشارة وثائقية تفيد استقلالية عيد الميلاد في كنيسة مصر، وردت إلينا في العظة التي ألقاها بولس أسقف حمص حول عيد الميلاد، في أثناء زيارته لمدينة الإسكندرية، سنة ٤٣٢م، وفي حضرة القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م). وأمَّا في أورشليم، فلم ينفصل العيدان فيها إلا في سنة ٥٤٩م أي في منتصف القرن السادس الميلادي.

هذا من جهة عيد الميلاد، وأمَّا من جهة صوم الميلاد، فقد عُرف هذا الصوم في الغرب أولاً في فرنسا في النصف الأخير من القرن الخامس الميلادي، لزمان يمتد إلى ستة أسابيع، تقلصت إلى خمسة أسابيع صوم فقط في كلِّ من إسبانيا وشمال غرب إيطاليا وجنوبها، ثم تقلصت إلى أربعة أسابيع صوم فقط في كنيسة روما. وبعد حين، توقف الصوم السابق لعيد الميلاد في الغرب، وأصبحت الأربعة آحاد التي تسبق العيد، هي القاعدة الثابتة كفترة تمهيد وتهيئة له. أمَّا الأحد الأول في هذه الفترة فيُدعى Advent Sunday أي "أحد المجيء"، وهو أقرب يوم أحد لعيد القديس أندراوس الذي يقع في ٣٠ نوفمبر^(٣). وهنا ثمة ملاحظة جديرة بالانتباه، وهي أنَّ الأساس الذي استقرَّ لزمان التهيئة لعيد الميلاد في الغرب، ولاسيما في كنيسة روما، هو أربعة آحاد تسبق العيد.

ومن الغرب، انتقل صوم الميلاد إلى الشرق، حيث عرفه الروم، والسريان، والأرمن، ثم الأقباط فيما بعد. وبرغم توقُّفه في الغرب، استمرَّ معمولاً به في الشرق، ولكن بفترات صوم متباينة بين كنيسة وأخرى. وعرف الأقباط صوم الميلاد ربما قبل القرن العاشر الميلادي، لمدة ٢٨ يوماً، أي أربعة أسابيع، هي أسابيع شهر كيهك، والذي يقع عيد الميلاد في التاسع والعشرين منه.

وعلى ذلك، وطبقاً لما سبق ذكره من معطيات، فإنَّ الحديث عن التطور الليتورجي لزمان التهيئة لعيد الميلاد في الكنيسة القبطية، والذي سيرد شرحه في السطور التالية، لم يُعرف إلا في غضون القرن السادس للميلاد أو ربما بعده، على أقل تقدير. إذ أنَّ النمو البطيء هو أحد سمات التطور الليتورجي في الكنيسة.

لما انفصل عيد الميلاد عن عيد الإيفانيا، أخذ معه أقدم تقليد ليتورجي لزمان التهيئة للعيد، وهو صوم اليوم الواحد السابق للعيد، أي "البرامون"، وهو التطور الليتورجي الأول لزمان التهيئة لعيد الميلاد، وهو نفس التقليد الليتورجي السحيق في

١- هذه الورقة البحثية، مقدّمة إلى نيافة الحبر جزييل الاحترام الأنبا سراييون أسقف لوس أنجيلوس، بناء عن طلب نيافته، خلال مكالمة تليفونية معه، في يوم الثلاثاء ٢٤/٦/٢٠١٤م.

٢- جدير بالذكر هنا، أنَّ هذا الفصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى تلميذه تيطس (تيطس ٢: ١١-١٥) هو الفصل الكتابي الذي يعرفه الشرق المسيحي في احتفاله بعيد الإيفانيا في يوم ٦ يناير، قبل أن ينفصل عيد الميلاد عن عيد الإيفانيا. وهو نفس الفصل الذي انتقل إلى كنيسة روما ليُقال في يوم ٢٥ ديسمبر بعد فصل العيدين، واستقلال يوم ٢٥ يناير بعيد ميلاد السيد المسيح.

Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958, p. 156, 157.

3- Cf. J.G. Davis, *A Dictionary of Liturgy and Worship*, SCM Press LTD, 1972, p. 12. ; F.L. Cross & E.A. Livingstone, *The Oxford Dictionary of The Christian Church* (ODCC), 2nd edition, 1988, p. 19.

القدم لزمن التهيئة لعيد الفصح أيضاً. ومع مرور السنين، تطوّر زمن التهيئة لكل من عيدَي الميلاد والفصح، ولكن بشكل مغاير لكل منهما كما سأشرح فيما بعد، بينما توقّف لعيد الإيفانيا عند صوم اليوم الواحد.

ففي زمن غير معروف لديّ حتى الآن، وربما يكون واقعاً في غضون القرن السادس الميلادي، أو بعده بقليل^(٤)، حدث **التطوّر الليتورجي الثاني** لزمن التهيئة لعيد الميلاد، حيث أضيفت إلى يوم البرامون السابق لعيد الميلاد، أربعة آحاد بسهر ليلي، تسبق العيد وتمهّد له. وكانت هذه الآحاد الأربعة تقع كلّها في شهر كيهك، حتى إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وبالتحديد حتى إلى سنة ١٥٨٢م، حين عُرف التقويم الغريغوري. وأمّا اليوم، وطبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية، فقد يقع الأحد الأوّل من هذه الآحاد الأربعة في الأحد الأخير من شهر هاتور.

وتشرح لنا مخطوطات ترتيب البيعة التي ظلّت تدوّن حتى إلى أوائل القرن العشرين، وبالتحديد حتى سنة ١٩١١م، أنّ الآحاد الأربعة السابقة لعيد الميلاد – مع صوم يوم البرامون – هي وحدها زمن التهيئة له. إذ تورّد هذه المخطوطات مردّات أناجيل قُدّاسات هذه الآحاد الأربعة، بغض النظر عن وقوع هذه الآحاد الأربعة كاملة في شهر كيهك، أو وقع الأحد الأوّل منها في أواخر شهر هاتور، وهي جزئية مهمّة في هذا البحث.

- فالأحد الأوّل هو: أحد بشارة الملاك لزكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان. ومرد الإنجيل هو: ”عال عن البطاركة، ومكرّم من الأنبياء، لأنه لم يقم في مواليد النساء من يشبهك“.
- والأحد الثاني هو: أحد بشارة الملاك للعدراء بميلاد السيّد المسيح. ومرد الإنجيل هو: ”نعطيك السلام مع غبريال الملاك، قائلين السلام لك يا ممتلئة نعمة، الرّب معك“.
- والأحد الثالث هو: أحد زيارة العدراء مريم لأليصابات. ومرد إنجيل الأناجيل الثالث: ”نعظّمك باستحقاق مع أليصابات نسيبتك، قائلين مباركة أنت في النساء، ومبارك ثمره بطنك“.
- والأحد الرابع هو: أحد ميلاد يوحنا المعمدان. ومرد الإنجيل هو: ”لم يقم في مواليد النساء من يشبهك. أنت عظيم في جميع القديسين يا يوحنا المعمدان“.

ولكن في أوائل القرن العشرين، تقلّصت هذه المردّات الأربع إلى مردّين فقط، وهما مرد الأحد الثاني السابق ذكره، ليغطّي الأحدين الأوّل والثاني من شهر كيهك، بل ليغطّي كلّ أناجيل الأسبوعين الأوّلين منه!! ومرد الأحد الثالث، ليغطّي الأحدين الثالث والرابع من شهر كيهك، بل ليغطّي كلّ أناجيل الأسبوعين الأخيرين منه!! ونلاحظ أنّ المردّين المقتطعين، يختصّان بالسيدة العدراء، بينما سقط المردّان المختصّان بيوحنا المعمدان، بغض النظر عن مضمون فصل الإنجيل المقدّس، الذي أصبح لا يتوافق مع المردّ التّابع له. وخلاصة القول، هي أنه برغم هذا الإرباك الذي حدث للطّقس، ظلّت الأربعة آحاد السابقة لعيد الميلاد، هي المحور الأساسي لزمن التهيئة لهذا العيد، حتى إلى أوائل القرن العشرين بحسب ما تذكر مخطوطات ترتيب البيعة.

إنّ هذا التطوّر الليتورجي الثاني لزمن التهيئة لعيد الميلاد – أي الآحاد الأربعة السابقة للعيد مع السهر الليلي المصاحب لها – هو التطوّر الليتورجي الوحيد، الذي ظلّ ينمو باضطراد مع مرور السنين، حيث عُرفت الأصلموديّة الكيهكيّة في القرن الخامس عشر الميلادي، لتخدم هذه السهرات للآحاد الأربع السابقة للعيد، ثمّ طال هذه السهرات إضافات من عناصر ليتورجية جديدة بدءاً من القرن السابع عشر الميلادي، نمت بغزارة على مدى القرون التالية. وبرغم أنّ كثيراً من هذه الإضافات الليتورجية لم تكن ترقى في مضمونها الليتورجي إلى عمق اللاهوت الإسكندري، إلّا أنّها كانت تعني أنّ هذا التطوّر الليتورجي الثاني هو وحده الذي ظلّ يحظى باهتمام شعبي، لما يزيد عن أحد عشر قرناً من الزّمان، حتى طالاه الضّعف في الخمسين سنة الأخيرة، حيث ألغت كثيراً من الكنائس السهر الليلي للآحاد السابقة لعيد الميلاد، واكتفت بتوزيعه على يومين أو ثلاثة أيام من الأسبوع، ينتهي فيها التّسبيح قبل الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل.

٤ – ذلك لأنّ أقدم بردية ليتورجية تحفظ لنا بعض التّساويح المختصّة بعيد الميلاد في مصر، تعود إلى نهاية القرن الخامس أو أوائل السادس للميلاد، وُجدت في منطقة أهناسيا، ومحفوطة الآن في المكتبة الوطنيّة بفيينا برقم (P. Vindob. G. 2326)، وقد نشرها العالم G. Bickell في القرن التاسع عشر، وأعيد نشرها مرّة أخرى بواسطة عدد من الدّارسين، سنة ١٩٩٧م.

ثم كان التطور الليتورجي الثالث لزمن التهيئة لعيد الميلاد، هو دخول صوم شهر كيهك، ليكون صوماً سابقاً لعيد الميلاد، وربما يكون هو الصوم الذي أشار إليه الأنبا ساويرس بن المقفع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) أسقف الأشمونين، وكانت مدته ٢٧ يوماً، إلى جانب صوم يوم البرامون الذي لم يتزحزح عن مكانه الليتورجي، أي ٢٨ يوماً، ليكون الاحتفال بعيد الميلاد في ٢٥ ديسمبر/ ٢٩ كيهك من كل سنة^(٥).

وفي ذلك يقول ابن كبر (١٣٢٤م)، قس كنيسة السيّدة العذراء الملقبة بمصر القديمة: ”... صوم الميلاد الذي أوّله الخامس عشر من شهر هاتور ... ومن كان من أهل الصعيد الذين جرت عادتهم أن يصوموا من أوّل شهر هاتور^(٦)، فليجروا على عادتهم^(٧) ... الخ“.

وهنا يلزم الإشارة إلى إن الأربعة آحاد السّابقة لعيد الميلاد، قد عُرفت أوّلاً قبل أن يُعرف صوم شهر كيهك، ذلك لأنّ قطمارس القراءات لأيام شهر كيهك - دون قراءات آحاده وقراءات يوم البرامون - لا علاقة له من قريب أو من بعيد، بحدث الميلاد. بالإضافة إلى أنّ جميع مخطوطات ترتيب البيعة حتى أوائل القرن العشرين، تورد مردّات أناجيل أيام شهر كيهك، بدون آية إشارة إلى حدث الميلاد نفسه. وهذا يؤكّد لنا مجدداً أنّ أيام شهر كيهك والصوم الذي وقع في هذا الشهر، لم يكن هو زمن التهيئة لعيد الميلاد، بل الآحاد الأربعة فقط السّابقة لعيد الميلاد، مع صوم يوم البرامون.

ومن ثمّ يتّضح لنا أنّ دخول صوم شهر كيهك لم يستطع أن يغيّر من أصول التقليد الليتورجي الأقدم منه، وهو الاحتفال بسهر ليلي لأربعة آحاد سابقة للعيد، ولا أن يُضيف إليه شيئاً، اللهم إلا الصوم وحسب - وهو الصوم الذي طاله مؤخراً إقامة قدّاسات يومية مصاحبة له، بالإضافة إلى ما صار يُعرف فيه باسم اللحن الكيهكي. وهكذا استمرّ هذا التقليد الليتورجي - الحاوي في مضمونه ثلاثة تطوّرات ليتورجية - قائماً حتى إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، في كل أنحاء

٥- من المعروف أنّ الكنيسة الجامعة كانت تعيد عيد الميلاد في الخامس والعشرين من ديسمبر، والذي كان يوافق التاسع والعشرين من كيهك، حتى إلى سنة ١٥٨٢م. ولكن بسبب التعديل الغريغوري الذي وقع في شهر أكتوبر من هذه السنة المذكورة، ولم تتبعه بعض الكنائس الشرفيّة القديمة، ومنها الكنيسة القبطية، تزحزح يوم عيد الميلاد إلى الرابع من يناير بدءاً من هذه السنة المذكورة. وبدءاً من سنة ١٧٠٠م، أصبح العيد يقع في الخامس من يناير. وبدءاً من سنة ١٨٠٠م، أصبح يقع في السادس من يناير. وبدءاً من سنة ١٩٠٠م، أصبح يقع في السابع من يناير. وفي سنة ٢١٠٠م، سيقع العيد في الثامن من يناير. وفي سنة ٢٢٠٠م، سيقع العيد في التاسع من يناير، وهكذا. وذلك لأنّ التقويم القبطي يزيد ثلاثة أيام كلّ حوالي ٤٠٠ سنة عن التقويم الغريغوري المعدّل والأكثر دقّة من التقويم اليولياني.

٦- إن الدليل على أنّ تعبير ”أوّل شهر هاتور“ الذي ذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م) هو خطأ في النسخة، والمقصود به هو ”أوّل شهر كيهك“، أنه ليست لدينا شهادة وثائقية واحدة، تُفيد أنّ صوم الميلاد بعد أن عُرف في الكنيسة، كان يبدأ في أوّل هاتور. فضلاً عن أنّ ابن كبر نفسه، يذكر أنّ عيد الميلاد يوافق التاسع والعشرين من شهر كيهك، فيقول:

”فأمّا الميلاد الجديد المجيد، فإنه كما قيل كان ليلاً، آخر اليوم الخامس والعشرون (كذا) من كانون، الموافق للثامن والعشرين من كيهك. فرسّمت الرّسل المؤيّدون بروح القدس في القوانين المقدّسة، أن تُعيد في التاسع والعشرين من كيهك الشّهر الرابع من شهور المصريين، وهو في سنة الكبيس من سني القبط يوافق الخامس والعشرون من كانون“.

انظر: مخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهلبيّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٩، ورقة (٢١٥) و (٢١٦ج). ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون عيد الميلاد - بحسب ابن كبر - في يوم ٢٩ كيهك، ويكون صوم الميلاد - بحسب ابن كبر أيضاً - أوّل هاتور، إذ معنى ذلك، أنّ مدّة الصوم عنده تمتد إلى ٥٨ يوماً، وهذا غير معقول.

كما أنّ ابن سباع الذي كان معاصراً لابن كبر، وعاش في صعيد مصر - كما تيقنت بعد دراسة امتدت لعشرات السنين - يتحدّث بوضوح عن صوم شهر كيهك وليس شهر هاتور. وبسبب أنّ صوم السنة أسابيع كان قد شاع في مصر القديمة والوجه البحري بعيداً عن كنائس الصعيد، فأراد ابن سباع أن يوفّق بين الصّومين، ويشرحه بأسلوبه الخاص الذي يعرفه الدارسون، أي صوم السنة أسابيع، وصوم شهر كيهك، فنسب الصوم الأوّل إلى السيّدة العذراء، والصوم الثّاني إلى الشعب، فيقول:

”... إن السيّدة أم الثور كانت في سبعة شهور ونصف من حملها بالبشارة المملوءة خلاصاً، وبسبب كثرة تعبيرها صامت مدّة شهر ونصف، باكية حزينة على ما تسمعه من تعبير ... فلمّا صامت السيّدة، صمنا شهر كيهك لأجل صومها ...“.

انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسيّ للدراسات الشرفيّة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٨٩. بالإضافة إلى أنّ البابا غبريال الثامن (١٥٨٧-١٦٠٣م) حين حاول العودة إلى التقليد القديم لصوم الميلاد عند الأقباط، أصدر قوانينه التي من بينها أن يتدبّر صوم الميلاد في أوّل شهر كيهك، ولكن لم يلتفت إليه أحد. وهو تأكيد أنّ الصوم كان أوّل كيهك، وليس أوّل هاتور.

٧- مخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهلبيّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب الثامن عشر، ورقة (٢١١) ظ.

مصر، بل وحتى إلى القرن الرابع عشر الميلادي، أو ربما بعده أيضاً، في صعيد مصر.

ثمَّ كان التطور الليتورجي الرابع لزمن التهيئة لعيد الميلاد، في زمن البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، إذ بحسب قانونه رقم (١٨)، امتد صوم الميلاد إلى ستة أسابيع، أي ٤٢ يوماً بدءاً من (١٥ هاتور/ ٢٤ نوفمبر) إلى يوم (٢٧ كيهك/ ٥ يناير) يُضاف إليها صوم يوم البرامون وهو (٢٨ كيهك/ ٦ يناير) الذي لم يتزحزح عن موضعه حتى اليوم، لتُصبح مدّة صوم الميلاد ٤٣ يوماً^(٨). وهو أوّل ذكر لصوم يسبق عيد الميلاد في الكنيسة القبطية بقانون كنسي.

ولكن هذا الصوم ذو الستة أسابيع الذي أدخله البابا خريستوذولوس، لم ينتشر في كل أنحاء مصر، لعدّة قرون تالية لزمانه، إذ ظلت كنائس الصعيد حتى إلى نهايات القرن الرابع عشر الميلادي على أقل تقدير، تصوم ٢٨ يوماً من شهر كيهك، كعادتها القديمة، كما يذكر ابن كبر (١٣٢٤م). وفي حين يشير البابا كيرلس الثاني (١٠٧٨-١٠٩٢م) في قانونه رقم (١٤) إلى صوم الميلاد، بدون أن يحدّد مدّة هذا الصوم، فإنّ قوانين الأنبا ميخائيل مطران دمياط، التي دوّنت سنة ١١٨٨م، تتحدّث عن يوم ميلاد المسيح^(٩)، ولا ذكر فيها لصوم يسبق عيد الميلاد. أمّا أوّل ذكر واضح لصوم ستة أسابيع بالإضافة إلى صوم يوم البرامون، تسبق عيد الميلاد بعد زمن البابا خريستوذولوس، فهو ما نجده في قوانين الصّفي بن العسال، وهي القوانين التي دوّنت في سنة ١٢٣٦م.

وهكذا، أُضيف صوم الأسبوعين الأخيرين من شهر هاتور إلى صوم شهر كيهك. وهنا أيضاً لم يستطع هذا الصوم أن يغيّر شيئاً من التقليد القديم لزمن التهيئة لعيد الميلاد، إذ دخل صوم الأسبوعين الأخيرين من شهر هاتور - إلى صوم شهر كيهك السابق عليهما - دخولاً صامتاً لا يشعر به الطّقس، حتى إلى يومنا هذا^(١٠).

وإنّ ما يثبت أنّ زمن التهيئة لعيد الميلاد هو الآحاد السابقة للعيد، وليس الصوم في حدّ ذاته، هو أنّ عيد الميلاد قد عُرف في كنيسة مصر قبل أن يُعرف صوم الميلاد فيها، بما يقرب من أربعة قرون كاملة. كما أنّ فترة الصوم السابقة لعيد الميلاد، قد تباينت تبايناً كبيراً بين الكنائس الشّرقية المختلفة، فزمن الصوم عند الرّوم الأرثوذكس هو أربعين يوماً، ولكنّه تقلّص عند الرّوم الملكيين إلى خمسة عشر يوماً، ثمّ صار الآن يوماً واحداً^(١١). والكنيسة السّريانية التي كانت تصوم أربعين يوماً، تقلّص فيها الصوم حالياً إلى عشرة أيام. بالإضافة إلى أنّ قراءات الفصول الكنسية السابقة لعيد الميلاد، لا علاقة لها بالعيد، باستثناء الأربعة آحاد السابقة له، إلى جانب يوم البرامون.

وهكذا نتيقن أنّ مدّة صوم الميلاد، ووقت وقوعه، ليس هو زمن التهيئة لعيد الميلاد بحسب التقليد القديم، بل تظل الأربعة آحاد السابقة للعيد مع يوم البرامون، هي الأساس الليتورجي له، سواء ضمنا في شهر كيهك، أو ضمنا في شهر هاتور. ومن ثمّ، فإنّ انتقال عيد الميلاد ليكون ٢٥ ديسمبر بدلاً من ٧ يناير، ولاسيما في كنائس المهجر - مع استمرار الاحتفاظ بالتقويم اليولياني الحالي - لا يستوجب نقل قراءات الأسبوعين الأخيرين من شهر هاتور وقراءات أيام شهر كيهك، بل تنتقل فقط، قراءات الأربعة آحاد السابقة للعيد، مع قراءات يوم البرامون.

لست أقلل من قيمة صوم الميلاد، ولا من قيمة الصوم عموماً، ولكنني أتكلّم هنا عن التقليد الليتورجي القبطي فيما يختص بزمن التهيئة لعيد الميلاد، على أنه الآحاد السابقة للعيد، وليس فترة الصوم السابقة له، سواء كانت ٢٨ يوماً، أو ٤٣ يوماً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد استقلّ التقليد القبطي، مع نظيره السّرياني الأنطاكي^(١٢) استقلالاً كاملاً في مفهومهما لزمن التهيئة لعيد الميلاد بأحد سابقة للعيد، عن مفهوم التقليد البيزنطي له، والذي جعل من صوم الأربعين يوماً، زمن تهيئة للعيد. فلقد وجد التقليد القبطي في زمن التهيئة لعيد الميلاد، أنه زمن تهليل وابتهاج وفرح وتسييح بانتظار مولود بيت لحم، أُضيف عليه

٨- إنّ أيّ شرح للثلاثة والأربعين يوماً، مدّة صوم الميلاد، يتجاهل احتساب صوم يوم البرامون السابق للعيد، هو شرحٌ بعيد عن الحقيقة، ولا تسنده براهين وثائقية.

٩- انظر القول الخمسين منها.

١٠- باستثناء استحداث ضعيف باهت، طال قانون ختام الصلوات، و صلاة القسمة للقدّاس الإلهي.

١١- حياتنا الليتورجية، السنة السابعة، لبنان، ١٩٩٦-١٩٩٧م، ص ٧٧٥

١٢- وهو ما سيرد شرحه بعد قليل.

الصوم الذي لم يستقر بوضعه النهائي إلا في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، ولكن دون أن يؤثر على زمن التهيئة لعيد الميلاد، لأن مفهوم الصوم، يحمل معنى التوبة والتدلل أمام الله وطلب الرحمة، وهو ما يتنافى مع بهجة الاستعداد للمولود الإلهي.

وأما بخصوص عيد الفصح، فكان الصوم هو أساس زمن التهيئة له، حيث تطوّر الصوم فيه تطوراً سريعاً جداً من صوم اليوم الواحد، إلى صوم ستة أيام سابقة للعيد، إلى صوم أربعين يوماً سابقة للعيد اقتداءً بصوم الرب من أجلنا أربعين شهراً وأربعين ليلة، حتى خلصنا، حيث استقر هذا الصوم الأربعيني في القرن الرابع الميلادي^(١٣). أمّا قراءات سبوت وآحاد الصوم الكبير، فلم تكن واحدة في كل أنحاء البلاد، ثم أضيفت إليها بعد قراءات أيام الصوم، وعلى مراحل. وهذا هو الفارق بين عيدي الميلاد والفصح، فيما يختص بزمن التهيئة لكل منهما.

* * *

وجدير بالذكر هنا، أن الكنيسة السريانية تحفظ ستة آحاد كزمن تهيئة لعيد الميلاد، تقع كلها في شهر هاتور بالإضافة إلى الأحدين الأولين من شهر كيهك، كما يلي:

- الأحد الأول، وهو أحد بشارة زكريا، ويقع في هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) في (١٦ نوفمبر / ٧ هاتور)^(١٤).
- الأحد الثاني، وهو أحد بشارة العذراء، ويقع في هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) في (٢٣ نوفمبر / ١٤ هاتور)^(١٥).
- الأحد الثالث، وهو أحد زيارة العذراء لأليصابات، ويقع في هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) في (٣٠ نوفمبر / ٢١ هاتور)^(١٦).
- الأحد الرابع، وهو أحد ميلاد يوحنا المعمدان، ويقع في هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) في (٧ ديسمبر / ٢٨ هاتور)^(١٧).
- الأحد الخامس، وهو أحد بيان القديس يوسف، أي تبيين القديس يوسف لحقيقة أن حبل العذراء هو من الروح القدس، ويقع في هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) في (١٤ ديسمبر / ٥ كيهك)^(١٨).
- الأحد السادس، وهو أحد النسبة، أي أحد سرد نسب السيد المسيح كما جاء في الأناجيل المقدسة، ويقع في هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) في (٢١ ديسمبر / ١٢ كيهك)^(١٩).
- ويوم عيد الميلاد عند السريان الأرثوذكس يكون هذه السنة (٢٠١٤م/ ١٧٣١ش) يوم الخميس (٢٥ ديسمبر / ١٦ كيهك)^(٢٠).

وفي النهاية يتبقى أمامنا أمر واحد يحتاج إلى تقنين من الرئاسة الكنسية، وهو أنه إذا حدث انتقال لعيد الميلاد في كنائس المهجر ليكون في ٢٥ ديسمبر بدلاً من ٧ يناير، مع الاحتفاظ بالتقويم اليولياني، فماذا يكون الوضع الليتورجي لكل من عيد الختان، وعيد دخول السيد المسيح إلى الهيكل، وعيد البشارة؟ إذ أن هذه الثلاثة أعياد مرتبطة زمنياً بعيد الميلاد.

الراهب أناسيوس المقاري
الأحد ٦ يوليو سنة ٢٠١٤م/ ٢٩ يونيو ١٧٣٠ش

- ١٣- وهكذا نلاحظ أن الفارق الزمني بين استقرار الصوم الأربعيني المقدس، واستقرار صوم الميلاد، في الكنيسة، يصل إلى قرابة ألف سنة بينهما.
- ١٤- طبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية حتى اليوم، يتأرجح هذا الأحد الأول ما بين ١٣-١٩ نوفمبر / ٤-٩ هاتور.
- ١٥- طبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية حتى اليوم، يتأرجح هذا الأحد الثاني ما بين ٢٠-٢٦ نوفمبر / ١١-١٧ هاتور.
- ١٦- طبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية حتى اليوم، يتأرجح هذا الأحد الثالث ما بين ٢٧ نوفمبر - ٣ ديسمبر / ١٨-٢٤ هاتور.
- ١٧- طبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية حتى اليوم، يتأرجح هذا الأحد الرابع ما بين ٤-١٠ ديسمبر / ٢٥ هاتور - ١ كيهك.
- ١٨- طبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية حتى اليوم، يتأرجح هذا الأحد الخامس ما بين ١١-١٧ ديسمبر / ٢-٨ كيهك.
- ١٩- طبقاً للتقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطية حتى اليوم، يتأرجح هذا الأحد السادس ما بين ١٨-٢٤ ديسمبر / ٩-١٥ كيهك.
- ٢٠- يقع عيد الميلاد بحسب التقويم الغريغوري المعدل في ٢٥ يناير / ١٦ كيهك من كل سنة، ولكنه يقع في السنوات القبطية الكبيسة، في ٢٥ يناير / ١٥ كيهك أي في السنوات ١٧٣٢م/ ١٧٣٢ش، ٢٠١٩م/ ١٧٣٦ش، ٢٠٢٣م/ ١٧٤٠ش، ٢٠٢٧م/ ١٧٤٤ش، ٢٠٣١م/ ١٧٤٨ش ... الخ، حتى يتم ضبط التقويم القبطي.
- وبحسب التقويم اليولياني الحالي، يقع عيد الميلاد في ٧ يناير / ٢٩ كيهك، باستثناء السنوات القبطية الكبيسة، حيث يقع في ٧ يناير / ٢٨ كيهك، وهي السنوات ٢٠١٦م/ ١٧٣٢ش، ٢٠٢٠م/ ١٧٣٦ش، ٢٠٢٤م/ ١٧٤٠ش، ٢٠٢٨م/ ١٧٤٤ش، ٢٠٣٢م/ ١٧٤٨ش ... الخ.